المحاضرة (1): مدخل نظريّ: تحديد المصطلحات اللّغويّة التّراثيّة:

تمهيد: عرفت الدّراسات اللّغويّة في الحضارة العربيّة، عدّة اصطلاحات تمّ اعتمادها في التّعبير عن مختلف العلوم اللّغويّة الّتي أسّستها تلك الحضارة في دراستها للّغة. وتتقارب مفاهيم هذه الاصطلاحات لدرجة عدم إدراك الفوارق بينها، ما يجعلها تلتبس على طلبة الدّراسات اللّغويّة في أحايين كثيرة؛ وعلى هذا الأساس جاءت هذه المحاضرة الأولى من مادّة اللّسانيات العربيّة؛ لتقف على تحديد مختلف مفاهيم هذه الاصطلاحات، إلى جانب تحديد تاريخها في هذه الحضارة. وتشمل مجمل مفاهيم هذه الاصطلاحات، مصطلح: النّحو، وعلم العربيّة، وعلوم العربيّة، والإعراب، وفقه اللّغة، واللّسانيات واللّسانيات العربيّة، ولسانيات العربيّة.

1- النّحو: ظهر مصطلح النّحو في الدّراسات اللّغويّة الّتي عرفتها الحضارة العربيّة، في مرحلة متقدّمة من تاريخها، عند النّحاة الأوائل الّذين أطلقوه في القرن الثّاني للهجرة، على العلم الذي يُعنَى ببنية اللّغة إفرادا وتركيبا، ليشمل بذلك هذا المصطلح علمي النّحو والصّرف، وهذا بعد أن كان الهدف الأساس من تأسيس هذا العلم هو التّقعيد لكلام العرب مفردا أو مركّبا، مثلما تدلّ عليه الكتب الأولى لعلم النّحو بما فيها: (الكتاب) لسيبويه (180هـ) و(المُقتضَب) للمبرد (285هـ) و(الأصول في النّحو) لابن السّراج (316هـ) إلاّ أنّه سرعان ما اتّسعت أبواب علم الصّرف، فأُفرِدت له الكتب الخاصّة به، نحو ما جاء في (التّصريف) لأبي عثمان المازني (249هـ) و(التّصريف الملوكي) لأبي الفتح عثمان بن جنّي (392هـ) و(المفتاح في الصّرف) لعبد القاهر الجرجاني (471هـ) و(الممتع الكبير في التّصريف) لابن عصفور (669هـ) أو فُصِل بينه وبين علم النّحو في كتاب واحد، وصار بعد هذا الفصل بين العِلمَيْن علم النّحو مقتصرا في أبوابه على دراسة أواخر الكلم العربيّة، وعلم الصّرف مقتصرا في أبوابه على دراسة أبنيتها. وقد عُرِّف على أساس هذا الفصل بين العلمين علم النّحو على أساس أنّه "علم بأصول تُعْرَف بها أحوال الكلم إعرابا وبناء"[1] وعلم الصّرف على أساس أنه "عِلْمٌ بأُصُولٍ تُعْرَفُ بها أَحْوَالُ أَبْنِيَةِ الكلم الّتي ليست بإِعْراب."[2] ويُقْصَد بالعلم في كلا التّعريفين، معرفة الأحكام النّحويّة معرفة يقينيّة تقوم على الملاحظة أو استقراء كلام العرب، أمّا الأصول فيُقْصَدُ بها القواعد الكلّيّة المنطبقة على الجزئيات؛

---

[1]- عبد الله بن أحمد الفاكهي، شرح كتاب الحدود في النحو، تح: المتولي رمضان أحمد الدميري، ط2. القاهرة: 1988، مكتبة وهبة، ص52-53.

[2]- نجم الدين محمد بن الحسن الرضي الإستراباذي، شرح شافية ابن الحاجب، تح: محمد نور الحسن وآخرون، دط. بيروت: 1975، دار الكتب العلمية، ج1، ص1.

أي قواعد إعراب هذه الكلم بالرّفع، أو النّصب، أو الجرّ، أو الجزم، بالنّسبة لعلم النّحو، أو قواعد تصريفها فيما تتصرّف به من تثنية وجمع وتصغير ونسبة بالنّسبة لأسماء، أو اشتقاق وتصريف في الأزمنة الثّلاث بالنّسبة للأفعال في علم الصّرف، ويُعرَفُ بها؛ أي بسببها، وأحوال الكلم أو أبنيتها، هي ما يعرض لهذه الكلم من تغيّر آخرها بالإعراب، أو تغيّر أبنيتها بالزّيادة أو الحذف أو الإعلال أو الإبدال أو الإدغام أو القلب عند تصريفها بما تتصرف به في كلام العرب.

2- علم العربيّة: ظهر مصطلح علم العربيّة في الدّراسات اللّغويّة الّتي عرفتها الحضارة العربيّة في أواخر القرن الرّابع الهجري (04هـ) مرادفا لمصطلح النّحو. وأوّل من استعمل هذا المصطلح بهذا المعنى، أحمد ابن فارس (395هـ) في كتابه (الصّاحبي في فقه اللّغة العربيّة، وسنن العرب في كلامها) حيث قال في (باب القول في مأخذ اللّغة): "وكذلك الحاجة إِلَى علم العربية، فإنّ الإعراب هو الفارق بَيْنَ المعاني. ألا ترى أنّ القائل، إِذَا قال: مَا أحسن زيد. لَمْ يفرّق بَيْنَ التّعجب، والاستفهام، والذّمّ إِلاَّ بالإعراب."[1] وجعل ابن فارس مصطلح علم العربيّة مردافا لمصطلح النّحو، على أساس أنّه السّبيل الوحيد لمعرفة قواعد العربيّة. وقد تبعه في ذلك غيره من نحاة المشرق، كالزّمخشري (538هـ) في كتابه (المفصّل في علم العربيّة) وابن الأنباري (537هـ) في كتابه (نزهة الألباء في طبقات الأدباء) الذي أفرد فيه بابا لواضع علم النّحو، تحت اسم (أوّل من وضع علم العربيّة) مستخدما هذا المصطلح بهذا المعنى في عدّة مواضع من الكتاب، وكذلك السّيوطي (911هـ) الّذي ألّف كتابا بهذا الاسم (سبب وضع علم العربيّة) كما اسْتخدَم هذا المصطلح بهذا المعنى في كتابه (المزهر في علوم اللّغة وأنواعها) حيث قال: "وأخذ النّاس علم العربيّة عن هؤلاء الّذين ذكرنا من علماء المِصْرِيَنْ."[2] وهو يقصد بعلم العربيّة النَّحوَ، وعلماءِ المِصْرَيْنِ البصرةَ والكوفةَ.

وقد ظلّ في القرون التّاليّة استعمال مصطلح علم العربيّة مرادفا لمصطلح النّحو، يمثّل في كتب المشارقة ظاهرة فرديّة على نحو ما نجده في مؤلّفاتهم، ولكنّ سرعان ما انتقل هذا المصطلح إلى المغاربّة والأندلسيّين الّذين كانوا يفضّلون وصف علم النّحو بعلم العربيّة.[3] حيث جاءت معظم مؤلّفاتهم النّحويّة تحت هذا الاسم، نحو: (الدّرّة الألفية في علم العربيّة) لابن معط (628هـ) ومتن (الكافية الشّافية

---

[1]- أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء، الصّاحبي في فقه اللّغة العربيّة وسُنَنِ العرب في كلامها، تح: محمد علي بيضون، ط1. دب: 1997، ص35.

[2]- جلال الدّين السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تح: فؤاد علي منصور، ط1. بيروت: 1998، دار الكتب العلمية، ج2، ص349.

[3]- محمود فهمي حجازي، علم اللّغة العربيّة، دط. دب: دت، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ص61-62.

في علم العربيّة) لابن مالك (672هـ) وغيرها من المؤلفات النّحويّة التي فضّلت استخدام مصطلح علم العربيّة على مصطلح النّحو في عناوينها أو متونها.

3- علوم العربيّة: اِعتُمد هذا المصطلح في الدّراسات اللّغويّة الّتي عرفتها الحضارة العربيّة للتّمييز بين علوم العربيّة وعلوم الشّريعة. وعلوم العربيّة هي العلوم التي يُحتَرز بها عن الخطأ في العربيّة لفظا وكتابة، وهي ثلاثة عشر علماً: الصّرفُ، والإعرابُ (ويجمعهما اسمُ النحو) والرّسمُ والمعاني، والبيان، والبديع، والعَروض، والقوافي، وَقرْضُ الشّعر، والإنشاء، والخطابة، وتاريخُ الأدب ومَتْنُ اللّغة*.[1]

4- الإعراب: أُطْلِق مصطلح الإعراب في الدّراسات اللّغويّة الّتي عرفتها الحضارة العربيّة، على تَغيُّر أواخر الكلم العربيّة، وقد عُدَّ بذلك ظاهرة نحويّة انشغل بها النّحاة الأوائل، وأسّسوا لها علما يعنى بتفسيرها، وهو علم النّحو. ويَدُلّ الإعراب في اللّغة على الإبانة كما في قول النّبي ﷺ "الثَّيِّبُ تُعْرِبُ عَنْ نَفسها"؛ أي تُبِين وتفصح، والحُسُن كما في قوله تعالى ﴿ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴾ [الواقعة: 38]. ج: عَرُوب، وهي المرأة الحسناء المتحبِّبة إلى زوجها.[2] أمّا الإعراب في الاصطلاح، فهو تغيّر أواخر الكلم بتغير العوامل الدّاخلة عليها، وعلاماته أربع: الرَفع، والنَصب، والجرّ، والجَزْم. وعكسه البناء الذي هو لزوم آخر الكلمة حركة واحدة، لا تتغيّر بتغيّر العوامل الدّاخلة عليها، وعلاماته أربع: الضّم، والفتح، والكسر والسّكون.[3]

5- فقه اللّغة: ظهر مصطلح فقه اللّغة في الدّراسات اللّغويّة الّتي عرفتها الحضارة العربيّة متأخّرا مقارنة بمصطلح النّحو. ويعود أوّل استعمال له إلى القرن الرّابع الهجريّ، مع أوّل كتاب في فقه اللّغة، وهو (الصّاحبي في فقه اللّغة العربيّة، وسنن العرب في كلامها) لأحمد ابن فارس (395هـ) الذي جمع فيه بين موضوعات شتى تتعلّق باللّغة في مفرداتها: كأصل نشأة اللّغة، وأفضليّة اللّغة العربيّة على غيرها من اللّغات، واختلاف لهجاتها، وغيرها من مباحث الاشتقاق. ولم ينتشر مصطلح فقه اللّغة في الدّراسات اللّغويّة العربيّة القديمة إلا بقدر محدود، إذ لم يعتمد هذا المصطلح بعد ابنِ فارس إلا أبو

---

* يقصد بعلم متن اللّغة العلم الّذي يعنى بمفردات اللّغة جمعا وتنظيما وتأليفا، أي معرفة أوضاع المفردات اللّغويّة، من حيث الاستعمال، ويسمى هذا العلم علم المتن، لأنّ هذا المتن هو ظهر الشّيء ووسطه وقوّته، وهذا العلم تعلق بذات اللّفظ ومعناه. ينظر: (محمود فهمي حجازي، علم اللغة العربيّة، ص67.)

[1]- ينظر: مصطفى الغلاييني، جامع الدّروس العربية، ط8. بيروت: 1993، المكتبة العصرية، ص8.

[2]- ينظر: جمال الدّين ابن منظور، لسان العرب، ط3. بيروت: 1414، دار صادر، مادة (عرب).

[3]- ينظر: مصطفى الغلاييني، جامع الدّروس العربيّة، ص18.

منصور الثّعالبيّ (429هـ) الذي جعله عنوانا لأحد كتبه (فقه اللّغة وسرّ العربيّة) وهو كتاب يختلف عن الأوّل في موضوعاته؛ حيث تعرّض صاحبه من خلاله إلى دلالة الألفاظ اللّغويّة، جاعلا إياها في حقول دلاليّة تجمع بين الألفاظ المتّصلة بموضوع واحد، وعلى هذا الأساس فقد صُنِّفَ ضمن معاجم اللّغة لا كتب الفقه (فقه اللغة).

وفي العصر الحديث اتُخِذ مصطلح (فقه اللّغة) عنوانا للعديد من الكتب الحديثة، وهذا بعد أن تقرّر تدريسه في مختلف الجامعات المصريّة، وأهمّ هذه الكتب (فقه اللّغة) لعلي عبد الواحد وافي، و(فقه اللّغة) لمحمّد المبارك، و(دراسات في فقه اللّغة) لصبحي الصّالح، وهي الّتي تناولت مباحث متفرّقة من موضوعات فقه اللّغة: كنشأة اللّغة، وتاريخها، وخصائصها، وعلاقتها بغيرها من اللّغات، وقد تمّ على أساسها تعريف فقه اللّغة بأنّه: العلم الّذي يُعنَى بدراسة اللّغة من حيث نشأتها، وتاريخها، وخصائصها وعلاقتها بغيرها من اللّغات. ومن جملة مباحثه:

- نشأة اللّغة وتاريخها؛
- خصائصها: الصّوتيّة، والصّرفيّة، والتّركيبيّة، والدّلاليّة (كالاشتقاق، والنّحت، والتّرادف والتّضاد، والمشترك اللّفظيّ...إلخ)؛
- علاقتها بغيرها من اللّغات: من حيث التّأثر والتّأثير (المعرّب والدّخيل).

6- اللّسانيات: ظهر مصطلح اللّسانيات في الدّراسات اللّغويّة الّتي عرفتها الحضارة العربيّة حديثا، مقابلا لمصطلح (Linguistique) في اللّسانيات الغربيّة، وهذا عند المغاربة، أما المشارقة فقد اعتمدوا مصطلح (علم اللّغة) مقابلا لهذا المصطلح في اللّغة الأجنبيةّ. وقد عَرَف بدوره هذا المصطلح في اللّغة العربيّة عدّة تسميات شملت: علم اللّغة، واللّغويات، وفقه اللّغة، والألسنيّة، وعلم اللّسان، وعلم اللّسانيات... إلخ، وظهرت في عناوين الكتب، والمقالات والبحوث العلميّة. وفي سنة 1978، نظّمت الجامعة التّونسيّة ندوة دوليّة تحت عنوان (الألسنيّة واللّغة العربيّة) وأجمع المشاركون خلالها، على أنَّ أيسر المصطلحات المتداولة في البلدان العربية، وأقربها إلى خصائص اللّغة العربيّة مصطلح (اللّسانيات) وهو المصطلح الّذي وضعه الأستاذ الدّكتور عبد الرّحمن الحاج صالح، وسُمِّي به معهد متخصّص بالجزائر، وصدرت به أوّل مجلّة متخصّصة في هذا العلم في الوطن العربيّ. ويقال اللّسانيات على قياس الرّياضيات ولا يقال علم اللّسانيات؛ لأن اللاحقة (ات) الدّالة على العلم في العربيّة، تقابل اللاحقة (ique) الدّالة على العلم في اللّغة الفرنسيّة. واللّسانيات كما جاء في (قاموس اللّسانيات) لجون ديبوا

(Jean Dubois) "هي العلم الّذي يدرس اللّغة الإنسانيّة دراسة علميّة، تقوم على الوصف ومعاينة الوقائع، بعيدا عن النّزعة التّعليميّة والأحكام المعياريّة."[1]

7- اللّسانيات العربيّة: ظهر مصطلح اللّسانيات العربيّة في الدّراسات اللّغويّة الّتي عرفتها الحضارة العربيّة، بين أوساط الدّراسين العرب في العصر الحديث، بعد أن ساد الاعتقاد بأنّ هناك لسانيات عربية تقابل اللّسانيات الغربيّة، وأُطْلِق بذلك مصطلح اللّسانيات العربيّة على مجمل الدّراسات اللّغويّة الّتي عرفتها الحضارة العربيّة. والحقيقة إنّنا إذا اعتبرنا مجمل هذه الدّراسات اللّغويّة الّتي عرفتها الحضارة العربيّة، مرحلةً من المراحل الّتي أسهمت إلى جانب الدّراسات اللّغويّة للحضارات القديمة كالهنديّة، واليونانيّة، والرّومانيّة في تطوّر اللّسانيات عبر مراحل تاريخها، فإنّه يمكن أنْ ينطبق عليها هذا المصطلح. "أمّا إذا اعتبرناها علما قائما بذاته على نحو ما هو سائد من الاعتقاد، فإنّنا نكون قد نسبنا اللّسانيات لأنفسنا، ونكون بذلك كمن يطالب بفيزياء عربيّة أو رياضيات عربيّة."[2] والحقيقة إنَّ العلوم تُنْسَبُ إلى موضوعاتها لا إلى الجنس الّذي أبدعها.

8- لسانيات العربيّة: ظهر كذلك مصطلح لسانيات العربيّة في الدّراسات اللّغويّة الّتي عرفتها الحضارة العربيّة حديثا، عند كلٍّ من مصطفى غلفان وحافظ إسماعيلي علوي، اللّذين أطلقاه على الكتابة اللّسانيّة المتخصِّصة، الّتي تجعل اللّغة العربيّة موضوعاً لدراستها؛ حيث يتمّ فيها النّظر إلى هذه اللّغة على أساس أنّها نسق صوريّ أو وظيفيّ، يمكن وصفه أو تفسيره في مختلف مستويات التّحليل اللّسانيّ اعتمادا على المناهج العلميّة المتداولة في البحث اللّساني العالميّ منذ منتصف القرن التّاسع عشر، بما فيها: المنهج التّاريخيّ، والمقارن، والوصفيّ، والتّقابليّ. وهي تسعى من حيث الهدف؛ إلى تقديم وصف جديد لبنيات اللّغة العربيّة، على نهجٍ غير معروف في الثّقافة اللّغويّة العربيّة القديمة، وفق ما توصّل إليه البحث اللّسانيّ العامّ."[3]

---

[1]- Jean Dubois, Dictionnaire de Linguistique, Paris: 1973, p300.

[2]- ينظر: يوسف منصر، الخطاب اللّساني المغاربيّ، أصوله، مفاهيمه، إجراءاته -عبد الرّحمن الحاج صالح، عبد السّلام المسديّ، عبد القادر الفاسيّ الفهريّ نماذج- رسالة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه علوم، إشراف: البشير إبرير، جامعة باجي مختار-عنّابة، الجزائر: 2013، ص436.

[3]- ينظر: مصطفى غلفان، اللّسانيات العربيّة الحديثة: دراسة نقديّة في المصادر والأسس النّظريّة والمنهجيّة، سلسلة رسائل وأطروحات جامعة الحسن الثّاني عين الشّق، كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة الرّباط: 1991، ص92.

تطبيق:

س1- حدِّد من خلال ما درست في المحاضرة مفهوما دقيقا للّسانيات العربيّة؟

س2- هل يمكن اعتبار اللّسانيات العربيّة مقابلا للّسانيات الغربيّة، أم مرحلة من مراحل تطوّرها ولماذا؟

س3- حدّد ما يندرج من الموضوعات الآتية ضمن اللّسانيات، أو اللّسانيات العربيّة، أو لسانيات العربيّة؟

- الثّنائيات اللّغويّة.
- مبدأ التّقطيع المزدوج.
- علم الأصوات الوظيفيّ.
- علم الأصوات عند العرب.
- النّحو العربيّ.
- النظريّة التّوليديّة التّحويليّة.
- نظريّة النّحو الوظيفيّ.
- النّظريّة الخليليّة الحديثة.
- الصّناعة المعجميّة.
- صناعة المعاجم العربيّة.
- علم الدّلالة.
- علم الدّلالة عند العرب.